الكتاب الجديد

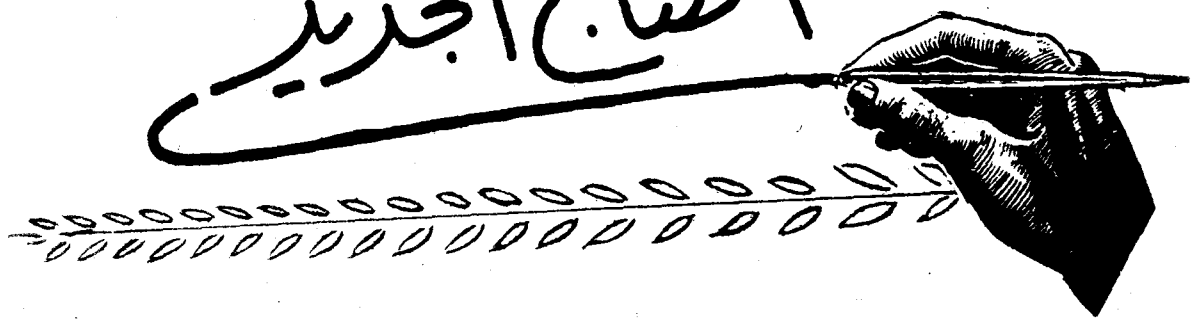

متى يعـــود المطـــر

تأليف اديـب نحـوي

قصة ـ ٩٦ صفحة ـ دار الطليعة ببـيروت

*

صدر منذ قريب كتاب عنوانه « متى يعود المطر » تأليف احد الادبـاء الشباب بحلب هو الاستاذ اديب نحوي . ويشتمل على قصة مطولـة تدور حول صلة الفلاحين في قرية بمالكها الاقطاعي ، كما تصور الوعي الذي يتفتح في نفوس ابنائها من ان هذه الارض انما ينبغي ان يملكوها هم باعتبارهم حملة الرفش فيها والمجرفة والمعول ... وترصد القصة ، خلال ذلك ، تعلق الفلاح بالسماء ، متلهفا على الغيث يرسله الله اليه ، فتنفجر به الارض سنابل خضرا تموج باعوادها الحقول وتغل الذهب الاصفر الوهـاج ..

عرفنا هذا الكاتب قبل بضع عشرة سنة متحمسا لكتابة القصص،ينشرها في بعض المجلات ، ثم دفعها الى القراء في مجموعتين صغيرتين .

وكانت اقاصيص ذينك الكتابين لا تعدو المحاولات والبواكير الاولـى لاديب شاب ناشيء يريد ان يساهم في بناء الحركة الادبية الطالعة فـي الشهبـاء ....

ثم صمت ، وطال صمته .

فقلنا : مشاغل الحياة قد صرفته عن الكتابة ، وحملته على الصمت ، مثلما حملت غيره من الشباب ـ تحت وطأة المشاغل اليومية ـ على ان يكسروا الاقلام ويئدوا براعم الافكار في اذهانهم قبل ان تزهر ، فما لهم بها من حاجة ، والحياة بحث دائب لا يرحم عن لقمة العيش وسعـي متواصل وراء الرزق .

وقلنا ايضا : بل لعل الشاب ابى ان يتكلم قبل ان ياخذ الاهبة الادبية ويصقل الموهبة ويزيد في مكتسباته الثقافية ، قبل ان يدفع الى القراء اعماله الادبية الاكثر جودة والاقرب الى الكمال الفني .

الى ان ظهرت « متى يعود المطر » على فجاة .. فرحبنا بها ، وقلنـا : هوذا قصصي قديم يعود الى الحلبة بعد غيبة ، فاهلا وسهلا ومرحبا .

ان الموضوع ، الذي تعالجه القصة ، لم يوف بعد حقه من كتاب القصة، في الوقت الذي عالجته المقالات الصحفية والخطب ، ثم جاءت بعـد ذلك القوانين تضع للقضية حلها النهائي .

ولسنا في معرض تبيان الاسس الفنية التي ينبغي ان تنهض عليهـا سلسلة من الحوادث او الخواطر وعدد من الفصول في كتاب ما ، حتى يحق لنا ان نطلق عليها دون ماتردد اصطلاح : « القصة » ... فلذلـك مجال اخر يطول فيه الحديث .

ولكن ، ماذا وجدنا في الكتاب ؟

في صفحاته الاولى ، التمعت امام بصيرتي بعض اللمحات الفنيـة الموفقة . فاخذني التفاؤل بحسن المآل الذي آل اليه كاتبنا الشاب ..

ولعل امتع ما قعت عليه من الصدق الفني ، ما كان في الفصل الثالث من القصة ، عندما وقفنا مذهولين امام مأساة الفلاح « خلف العبدالله » ، والد الصبية الجميلة « نجمة » ، التي يطلبها مالك الارض لتعمل خادمة في بيته بحلب ، لتعود الى القرية بعد حين وقد لطخها العار ..

ويا لها من مأساة في اسرتها الشرقية !

يقوم اخوها « حميدي » ليغسل العار عن الاسرة ، بذبح الصبيـة البريئة ، في حين يكون الاب ممسكا بالام في عتبة البيت ليمنعها مـن انقاذ ابنتها ، بينما تكون « فاطمة » الاخت الصغرى محبوسة في الاصطبل ...

ان نجمة تبكي وهي تسلم عنقها الى اخيها برضى وهدوء ، ولا يفوتها ان تقول ناصحة من قبل ان تحز السكين عنقها : « لا ترسلوا اختي فاطمة الى بيت البيك اذا طلبها .. اذبحوها كما تذبحونني الان ، قبل ان يضع يده عليها !! »

يتجلى في هذه الحادثة الصغيرة ، من صفحتين اثنتين ، منتهى الصدق الفني الذي يملأ قلبك بالانتصار لهذه الاسرة ولقضية الفلاحين عامة ، ويحملك على كره صاحب الارض الباغي الذي افترس الصبية الجميلة ،

دراســات ادبيــة

من منشورات دار الاداب

قضايا جديدة في ادبنا الحديث	للدكتور محمد مندور
في ازمة الثقـــافة المصرية	لرجـاء النقـاش
نزار قباني شاعرا وانسانا	لمحيي الدين صبحي

ذات الشعر الاسود والعينين الواسعتين ، مستغلا فقر اهلها وضعفهم .. انت متجاوب معهم الى ابعد الحدود ، دون ان ينحرف الروائي فيسدد اهانة ما او شتيمة مقذعة الى الرجل الباغي ... انه اكتفى بسلوك الطريق الفنية الاصيلة ، تصوير المأساة بتجرد ، دون ان يتدخل فيفرض على قرائه اراءه الشخصية ، فاصاب بذلك حظا بعيدا من الابداع غير منازع . .

ذكرت للمؤلف هذا الموقف الفني الصادق ، لاقول بعدئذ انه لم يمعن في سلوك هذه الطريق في قصته دائما ، وانه تنكب عنها في سائر الفصول . ان مثل تلك اللمحات كانت خاطفة ، تومض كالشهاب ، لتنطفيء بعيد صفحة او صفحتين ... على حين هيمنت على الكتاب ، في توالي فصوله ، روح خطابية دخيلة مشحونة بالتعابير والشعارات السائدة التي تجري على الالسن وتغص بها انهر الصحف كل صباح .

وهنا موطن الضعف في القصة .

لقد غلب الكاتب على امره ، فانقلبت القصة بين يديه الى ما يشبه الخطب او المقالات في الضرب على وتر الوطنية والاشتراكية والنقمة على الاقطاع ... وذلك ، ان ساغ في خطبة او مقالة ، فانه مما تنبو عنه التقنية القصصية ويرفضه الذوق الفني رفضا باتا قاطعا لا جدال فيه.

انك ، ايها القصصي ، غير مطالب بان تصرح في القصة على مسمع من القراء : اشجبوا الظلم ايها المواطنون لان الظلم شر ، وايدوا العدالة لانها خير ... ذلك موقف لافني بحت ! بل عليك ان تصور لقرائك مساوىء الظلم ، بفن واصالة ودون ما خطابية ، فيشجبونه عندئذ من تلقاء انفسهم .. وكلما ابتعدت عن الخطابة واسترسلت في التصوير الحيادي ولم تفرض اراءك على القراء او تصرح بمعتقدك ، ازداد تجاوبهم معك ، فملكوك عواطفهم واسلموا اليك قياد انفسهم .

ومن قبيل الخطب التي حشدت في القصة حشدا ، ما غص به الفصل التاسع . «ابراهيم العمر » ، الفتى الفلاح المثقف ، يحدث الفلاحين احاديثه الطويلة الخطابية عن الاشتراكية ، والوحدة ، ومصائب العرب في الجزائر وعمان وفلسطين ... وانما هذه الافكار هي نسخة مما يحمل المؤلف من مكتسبات فكرية سياسية هي محصلة لعديد من السنين التي عاشها في المدينة .

لقد كان اولى ان ينبثق الوعي بهذه القضايا من « داخل » هؤلاء المواطنين البسطاء كحاجات ضرورية لهم في الحياة ، يحسون بها في اعماق وجداناتهم ، لا ان يسكب الحديث عنها في اسماعهم سكبا وهم خليو البال منها او ان يقسروا عليها قسرا .

الاولى ان يحسوا ـ احساسا عفويا طبيعيا جماعيا ـ بضرورة ان تكون الارض مملوكة لهم ، لانهم هم الذين يفلحونها ، ويزرعونها ،ويسفحون على تربتها العرق ممزوجا بالدم ... فلم لا يحصدونها ويكون الحصاد لهم وحدهم ؟

فاذا واكب القارىء اشخاص القصة الفلاحين ، وقد ولدت فيهم هذه الاحاسيس الانسانية ، ثم نمت وترعرعت ، واصبحت رغبة ، ملحة ، فمطالبة بحق طبيعي ... عندئذ ينقاد القارىء لاحاسيس شخوص القصة، ويمنحهم كامل مودته وتأييده ، ويحمل السلاح دفاعا عن قضيتهم الانسانية العادلة ...

ذلك ، في رأيي ، ما اعوز القصة ، فافقدها رسالته الفنية الاصيلة .

اما موقف ابراهيم العمر من ابناء الضيعة ، الذين يرفعون وجوههم صوب السماء مبتهلين الى الله ان يغيثهم بالمطر لتشرب الحبة في بطن الارض بعد عطش دام سنوات ... لقد كان موقفا مرتجلا وغير مدروس !

لقد اخذ ، هذا الفلاح الثائر ، على اهليه التطلع الى السماء طلبا للغيث، وحضهم ـ بعد طويل تفكير ودراسة ـ على النظر الى اسفل ، الى الارض ذاتها ، يحفرون فيها الابار التي تغتذي منها السنبلة الذابلة العطشى .

فهل فات هذا البطل ـ اعني نسخته الاصلية : المؤلف ـ ان اخوانه الفلاحين لا يملكون ثمن المضخات التي ترفع الماء من الابار ان هم حفروها؟ فان حفروها ، فمن اين لهذه الابار بالماء ترتوي بها الارض وتسمن السنبلة .

ثم ، الم يأته الخبر من ان الحكومة في الاقليم السوري قد حظرت ، قبل سنة وسنتين ، على بعض المزارعين حفر الابار في المناطق الشحيحة بالمطر ، بل واوقفت عمل المضخات القائمة فيها ؟ واية ذلك ان الارض ما لم تشرب ماء المطر من السماء ، اعوزتها الماء في باطنها ، وهذه المياه القليلة في قعر البئر ، اولى بها ان يبقيها الفلاح للشرب من ان يسقي بها ارضه الموات ، والا مات من عطش مثلما يموت زرعه من عطش !

اننا تطلعنا الى الاديب النحوي ، مؤلف هذه القصة ، بعيون ملؤها الامل ، فلعل قلمه ، الذي امتشق بعد صمت دام بضع عشرة سنة ، قد اخذ الاهبة وصقل الموهبة لابداع قصة جديدة جيدة .. فاذا نحن نعود وقد خابت لنا آمال .. ولكن ما زال في القلب امال اخرى سنحتفظ له بها الى يوم يدفع الى القارىء عملا ادبيا جديدا اقرب الى الكمال واعصى على النقد .

حماة ـ منتدى ابي الفداء

فاضل السباعي

دواوين نزار قباني

من منشورات دار الاداب

الثمن

قالت لي السمراء	٣٠٠	ق.ل
طفولة نهد	٣٠٠	ق.ل
انت لي	٢٥٠	ق.ل
سامبا	١٠٠	ق.ل
قصائد نزار قباني	٣٠٠	ق.ل

زينة لكل مكتبة

دار الاداب

بيروت ـ ص.ب ٤١٢٣